دور الحفريات العرضية
في حماية موروث عمان الحضاري

طاهر الغنميين

تعتبر مدينة عمان من أكثر المدن والمناطق تعرضًا للزحف العمراني، لا سيما أن مناطق التنظيم تنتشر بكافة الاتجاهات، فنتيجةً للتوسع والزحف العمراني الذي تشهده محافظة العاصمة ومشاريع التنمية والتطوير في أمانة عمان الكبرى، فقد صاحب ذلك تعدٍ على جزء كبير من المواقع الأثرية الحضارية في مناطق العاصمة، علمًا بأن ملكية عدد كبير من المواقع الأثرية التي تشغل مساحاتٍ لا بأس بها ليست جزءًا من أملاك الدولة، وإنما تتبع للأهالي وينقب فيها بعد مراجعة أصحابها مديرية آثار العاصمة للحصول على رخصة بناء، لا سيما أن أغلب القطع تحتوي على بقايا عمرانية وجدرانٍ غير واضحة المعالم فيتوجب تنفيذ حفرياتٍ عرضيةٍ (يكشف كادر مديرية آثار العاصمة الآثاري المتخصص من ذوي الخبرة والمعرفة الأثرية أحيانًا على قطع الأراضي التي يقدم مالكوها مساهمة مالية كأمانات في دائرة الآثار العامة تغطي أجور العمال ومواد وعدد الحفر لإسراع إجراءات الحصول على تصريح البناء) في حال لم يعثر على بقايا عمرانية تستوجب قرار الشروع في استملاك قطعة الأرض يبدأ التعرف على طبيعة انتشار الظواهر على السطح، فإذا كانت خالية الأرض من أي ظواهر أثرية يمنح تصريح بناء للمالك، أما في حال تم الكشف وتبين ما يستوجب إجراء مجساتٍ اختباريةٍ للتعرف على ماهية الظواهر والبقايا البنائية غير واضحة المعالم المنتشرة على السطح والتي تشكل جزءًا من منظومة توزيع البلدات والقرى والأبراج التي تحيط بمدينة عمان عبر الفترات التاريخية التي توالت السكن والاستقرار في المحيط البيئي لها فيأتي القرار من خلال ما تم ملاحظته بالكشف الحسي الميداني بوجود مظاهر تنتشر على السطح تستوجب القيام بحفريات ومجسات أثرية لتبيان حقيقة ومكنونات ما تختزله الطبقات الترابية بين طياتها، فالحفريات العرضية تساهم في التعرف على ماهية وطبيعة هذه العناصر البنائية ووظائفها وطرف بنائها ومعرفة الطبقات الأثرية وتسلسلها وما تحتويه من مخلفات، في محاولة لربطها مع الطرز البنائية القريبة من مراكز تجمعها وتواجدها، من أجل إعطاء صورةٍ شاملةٍ وحقيقيةٍ عن طبيعة المباني المنتشرة ضمن مناطق العاصمة عمان لتكوين صورةٍ عن صيرورة التطور والارتقاء الحضاري والإنساني من خلال دراسة وتحليل ومقارنة تراكمات ورواسب الاستقرار الحضاري عبر رحلة العصور التاريخية المفعمة بالتفاعل الموصول بين المكان والزمان والأحداث المتجددة، والاستفادة من تراكم الخبرات العملية لتطور العصور التاريخية وارتقائها، مكونةً قصة وحكايه التطور للإنسان العماني. فبعض قطع الأراضي تختزن بين طيات ترابها مواقع أثرية وحضارية تحتاج إلى قرارٍ فاصلٍ وجريءٍ من شأنه استملاكها وتحويلها بعد انتهاء أعمال التنقيب وإجراء أعمال الصيانة والترميم اللازمين كمتنزهاتٍ ومتاحف أثرية مفتوحة للزوار وخاصةً الأشخاص الذين تعتبر هذه المواقع متنفسًا وبيئةً

للتعلم والتفكر وتعتبر وسيلةً للتوعية بأهمية الموروث الحضاري، ومن خلالها يبرز الدور البناء والمتميز للإنسان الذي استقر واستغل البيئة ومصادرها من أجل البقاء والتعايش. ومن شأنه زيادة الوعي بأهمية التراث الإنساني وضرورة المحافظة عليه ووقف جميع أشكال العبث والتشويه والاعتداء على المواقع الأثرية.

تعمل الحفريات العرضية على خلق نوعٍ من علاقة المنفعة بين الساكنة المحليين والمجاورين لمكان الحفريات والمواقع الأثرية، والتي ستنعكس إيجابيًا على المواقع الأثرية المنتشرة ضمن مناطق العاصمة وبالتالي الشعور بمدى المنفعة والفائدة المادية التي سوف تتحقق من وجود هذه المواقع بالقرب من مكان سكنى السكان المحليين، خاصةً أن مجموعةً من الأبراج الأثرية العمونية والخرب والبلدات والقرى الأثرية تنتشر وتشكل في مجموعها مواقع حيويةً وسياحيةً ومن الضروري ربطها بمساراتٍ سياحية جديدةٍ ونشطةٍ لتشجيع واستقطاب المجموعات السياحية ويحصل التنوع في نوعية الزيارة تلبي حاجات ورغبات والمتخيل الذهني من الزيارة، فتعمل على إطالة مدة إقامة السائح وهي الغاية والهدف الرئيس والمنشود، والتي تساعد في تنمية المجتمعات المحلية وتحفيز المشاركة في سياسات وخطط تنميتها وتطويرها، فتساهم في خلق جيلٍ واعٍ بأهمية هذه الكنوز والاهتمام بمستقبله من خلال وضع خطط طموحةٍ ومدروسةٍ من أجل النهوض بواقع المواقع الأثرية المنتشرة في المنطقة لكي تكون رديفًا اقتصاديًا مهمًا وعنصر جذب لاستقطاب المزيد من الزوار الرئيسيين والمحتملين.

تهدف الحفريات العرضية أيضًا للكشف والتعرف أكثر على طبيعة امتداد وانتشار البقايا المعمارية المنتشرة ضمن حدود مناطق العاصمة عمان، وتكوين صورةٍ شاملةٍ وواضحة عن طبيعة المواقع التاريخية المترامية الأطراف وطبيعة انتشار البقايا العمائرية في كل جزئيةٍ من مناطق العاصمة، والوظيفة التي كان يشغلها كل عنصرٍ ومظهرٍ من المظاهر المعمارية المنتشرة ، والدور البناء في مسيرة وازدهار الكيانات الحضارية عبر الحقب والفترات التاريخية التي عاشت واستقرت في مناطق العاصمة، فالرسالة العامة من هذه الحفريات هو تأكيد لأهمية المواقع وغناها بالتراكمات الأثرية والحضارية.

خاصة أنها كانت تشكل وحدات استيطانية مترابطة يعتري أغلبها الاستمرارية في الاستيطان البشري الخلاق ومحط ازدهار وتطور في شتى ميادين الحياة عبر التفاعل الموصول بين المكان والزمان والأحداث المتجددة عبر الأزمان المتعاقبة.

تغيير الصورة النمطية للأهالي القاطنين والمجاورين والزائرين لمكان الحفريات عن طبيعة المواقع الأثرية والغاية من الكشف عنها وضرورة الاهتمام بها وحمايتها من العبث، خاصةً أنها تشهد هجمةً شرسةً من قبل لصوص الآثار والباحثين عن الغنى السريع. وبالتالي بلورة الأفكار الناجعة عن أهميتها لدى المواطنين والمجتمعات المحلية وبأنها ليست مجرد كنوز وذهب؛ واعتبارها مواقع تشكل القصة والذاكرة الحية للمكان عبر فترات التاريخ التي تمثل استقرارها وواضح على ثراها، فهي أغنى من الذهب نفسه. وبالتالي تعظيم وتعزيز دورهم بالإحساس بالمسؤولية لحماية المواقع الأثرية من خلال بث روح الانتماء والمواطنة الحقة والحرص على المواقع الأثرية، وزرع التوعية في نفوس الناس من خلال التعرف على طبيعة هذه المواقع والإجابة على كافة استفساراتهم، وترسيخ الفهم العام بأنها تشكل إرثاً حضاريًا وبعدًا تاريخيًا يجب المحافظة عليه. كونها تمثل تاريخ أممٍ وحضارة شعوبٍ استقرت وساهمت مساهمةً فاعلةً في مجريات الحضارة الإنسانية.

شكلت هذه الحفريات متحفًا مفتوحًا من خلال مشاهدة المواطنين والزائرين لأعمال الحفر والتنقيب في هذا المواقع الأثرية، والتعرف عن كثب أكثر عن هذا الموروث الحضاري وتفسير ما يلزم عن طبيعة مجريات التنقيب وأهمية المواقع الحضارية والتاريخية في إثبات حقيقة المكان والروايات التي تواترت عبر الأجيال عنه، ويتم طرح الأسئلة من قبل المواطنين عن طبيعة ما تقوم به دائرة الآثار العامة ممثلةً بكوادرها من أعمال الحفر والتنقيب ويتم الاستجابة بالشرح البسيط عن الدور الحضاري والإنساني الذي كان يلعبه الموقع والإنسان الذي عاش ضمن هذه المنطقة، ومساهماته الفاعلة في الركب الحضاري وأهم الفترات الاستيطانية التي استقرت وعاشت على ثرى هذه المنطقة.

توظيف طبقة الشباب المتعطلين وطلاب المعاهد والجامعات والذين يشكلون الأغلبية ممن يتم توظيفهم

في مثل هذه المشاريع المؤقتة والتي تساهم بتغطية جانب من الالتزامات المالية وزيادة دخلهم وتحسين وضع ذويهم الإقتصادي.

العمل على إبراز دور الحفريات العرضية في توثيق المواقع الأثرية وإسهاماتها بالتعريف بالمواقع الأثرية المعرضة للزوال والتجريف، لا سيما في ضوء نقص الإمكانات المالية المخصصة لاستملاك الأراضي الواقعة عليها المواقع والخرب الأثرية، بفعل التوسع العمراني الكبير الذي تشهده التنمية للعاصمة عمان وغيرها من المدن الأردنية ذات الكثافة السكانية والذي يتطلب الأمر تزايد الحصول على الأراضي للبناء والتوسع على حساب المواقع الأثرية، ونتيجةً لذلك أصبحت أغلب المواقع الأثرية محصورةً بين العمارات والشقق التي تأخذ المنحى العمودي وليس الأفقي أي بناء أكثر من طابقٍ واحدٍ، وبالتالي انعزالية بعض المواقع الأثرية بين هذة الشقق والعمارات العالية.

وبسبب هذا التزايد في الطلب على شراء الأراضي للقيام بالبناء عليها، تزايدت معه أعداد الحفريات العرضية والطارئة خلال السنوات العشر الأخيرة التي أجريت من قبل كادر مديرية آثار العاصمة وقد يتجاوز عدد الحفريات التي أنجزت في عامٍ واحد تتراوح ما بين 15-20 حفرية عرضية.وهذا ناجمٌ عن الزيادة الطلبية على الشراء والبناء أيضًا. وقد شملت عمليات الحفر والتنقيب والتوثيق الأثري عدة مناطق ضمن حدود مناطق وضواحي العاصمة عمان.

ختامًا نعرض عدة صور تمثل جانبًا من أعمال التنقيبات الاستكشافية التوثيقية لمواقع أثرية شملتها الحفريات العرضية منها مناطق شمال وجنوب وشرق وغرب العاصمة عمان.

د. طاهر محمد الغنميين
مشرف إداري وأمين متحف الآثار الأردني

1. تظهر المظاهر المعمارية المكتشفة في موقع ياجور مبانٍ سكنية تمثل الفترتين الإسلاميتين المبكرة والمتأخرة الأموية والأيوبية المملوكية.

2. برج المراقبة الفترة الحديدية/العمونية القرن 7-6 ق ب (برج الهاشمي الشمالي)وتظهر من خلال الصورة سماكة الجدران التحصينية والتوزيعات لتخطيط المرافق الداخلية المعمارية.

3. توضح العناصر والمرافق الرئيسية لمعصرة ثمار الزيتون/تل العميري الشرقي.

4. مخطط عام يظهر أجزاء كنيسة البصة، وعددٌ من المقابر الفردية والجماعية التي نحتت في الصخر الطبيعي.

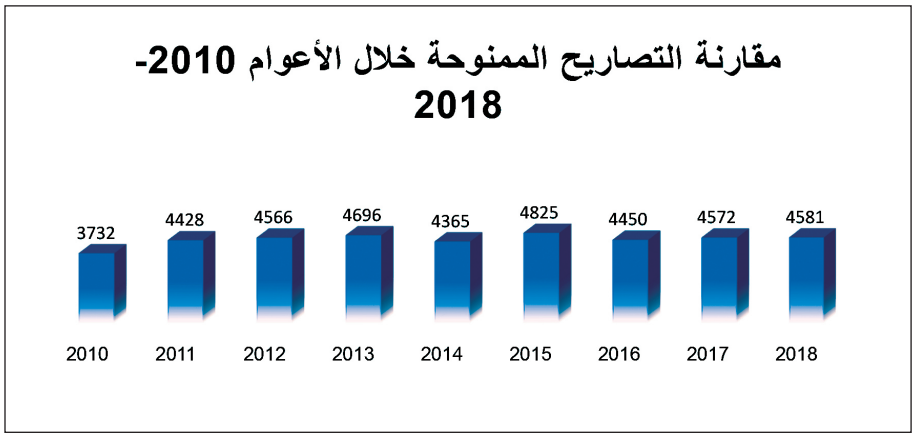

5. جدول يبين حجم الزيادات السنوية للتصاريح الممنوحة للبناء في جميع مناطق وضواحي العاصمة عمان من مديرية آثار العاصمة خلال الفترة من2010-2018م.